الحرب في رواية "قصة عن الحب والظلام"

عمار عدنان مغامس، محمود تركي الداود

جامعة إدلب– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– قسم اللغة العربية

الملخص:

كانت حرب عام 1948م حدثًا مفصليًا في تاريخ الكيان الصهيوني بقي حاضرًا في ذاكرة من شاهده منهم، وسعى جاهدًا لنقله لأبنائه وأحفاده بتفاصيله الدقيقة، و"عاموس" كان ممن حضر تلك الحرب في صغره، ونقلها لمن بعده في كبره من خلال روايته هذه، التي رصد فيها تفاصيل تلك الحرب من الوجهة الصهيونية، مع انطباعات مختلف أطياف المجتمع من تلك الحرب من البدايات وإلى النهاية على اعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الأمل والألم الذي عاشه وما يزال يعيشه الكيان الصهيوني على هذه الأرض.

الكلمات المفتاحية: الحرب – قصة عن الحب والظلام – عاموس عوز.

War in the novel "A Tale of Love and Darkness"

Ammar Adnan Maghamis- Mahmud Turki Aldaawud

Idlib University - Faculty of Arts and Humanities-Department of Arabic Language

Abstract:

The war of 1948 AD was a pivotal event in the history of the Zionist society. It remained present in the memory of those who witnessed it, and they strived to convey it to their children and grandchildren in its exact details. From the Zionist point of view, with the impressions of the various spectrums of society from that war from the beginning until the end, considering it an integral part of the hope and pain that his community lived and is still experiencing on this earth.

Key words: War – A Story About Love and Darkness – Amos Oz

مقدمة:

لا يمكن لمن يعيش على أرض فلسطين أن يتجاوز فكرة الحرب، فالحرب جزء من حياة الناس هناك، الناس هناك إما يفكرون في حرب ماضية أو حرب مستقبلية، أو المعاناة من ويلات حرب قائمة، ولذا كان من الطبيعي أن تظهر معالم الحرب في الآثار الأدبية الصهيونية، وقد ارتبط الأدب الصهيوني منذ نشأته بالحروب القائمة، فالحرب كانت العلامة الفاصلة زمنيًا بين مرحلة وأخرى من مراحل هذا الأدب، وصار هناك ما يعرف بأدب 1948 وأدب 1967 وأدب 1973 وأدب 1982.[1]

وعاموس[2] لم يشذ عن هذه القاعدة فقد كان لأحداث حرب 1948 حظ وفير في روايته "قصة عن الحب والظلام" التي سرد فيها تاريخ الكيان الصهيوني الحديث من خلال عائلته.

أهداف البحث:

1- بيان أثر حرب 1948 على الكيان الصهيوني.

2- إيضاح نظرة الصهاينة للعرب والإنكليز في الحرب.

3- تسليط الضوء على تزييف الصهاينة للحقائق التاريخية ولمجريات الحرب.

المطلب الأول: حالة الكيان الصهيوني قبيل الحرب:

عندما يقترب شبح الحرب من منطقة ما تكثر الإشاعات في أوساط الناس، كل إنسان بحسب ميوله فهناك المتشائم الذي يفكر في أسوأ الاحتمالات، وهناك المتفائل الحالم بالنصر الساحق، وهناك من يحاول الإنكار متمنيًا عدم حدوث الحرب، وكل هذه الأصناف وُجِدت في المجتمع الإسرائيلي، وعبر عنها عاموس في روايته، فعن المتشائمين قال:

"إشاعات مزعجة بعضها يجمّد الدم في العروق انتشرت في أحيائنا، هناك من قالوا بأن الحكومة في لندن ستُخرج قريبًا جيشها وجميع موظفيها من البلاد لمدة أسبوعين أو ثلاثة، وذلك لكي تفسح المجال أمام دول الجامعة العربية التي ما هي إلا ذراع بريطانية ملفوفة بعباءة لكي تُخضع اليهود وتحتل البلاد، ولكي تفسح المجال أمام الحكومة البريطانية لتعود إلى هنا من الباب الخلفي بعد أن يختفي اليهود".[3]

فالفريق المتشائم يتصور أنّ بريطانيا اتفقت مع العرب للقضاء على اليهود، وسبب اتفاق بريطانيا مع العرب حماقة وتهور الجماعات السرية اليهودية المسلحة التي قامت بعمليات ضد القوات البريطانية، يقول عاموس:

"وكان هناك من لم يترددوا في أن يقذفوا في آذان سامعيهم الاتهام بأن المنظمات السرية العبرية ... في عملياتها الدموية ضد السلطات البريطانية وبالذات تفجير مقر الحكومة البريطانية في فندق الملك داود هي التي سببت لنا هذه الكارثة، إذ إن أي إمبراطورية في التاريخ ما كانت تسكت على مثل هذه الأعمال والتحرشات المهينة، ولذلك قرر البريطانيون معاقبتنا بمذبحة فظيعة".[4]

ومع تبادل الاتهامات لابد من نشر بعض الأخبار الكاذبة لتزيد من احتمالية رأيهم وتوقعهم الذي يسوقونه على أنه حقيقة واقعة، يقول الراوي:

" كان هناك من قالوا في الحيّ بأن بعض ذوي الحسب والنسب وذوي العلاقات الجيدة مع السلطات البريطانية واليهود الذين يعملون بوظائف عالية في حكومة الانتداب البريطاني قد لمّحوا لهم بأنه من الأفضل لهم أن يغادروا البلاد في أقرب فرصة... وكان هناك من حكى عن مجموعات من العرب الشباب يمشّطون أحياءنا في ساعات الليل وهم مزودون بفرشايات وعلب دهان حيث يقومون مسبقًا بوضع علامات وتقسيم بيوت اليهود فيما بينهم، كما حكوا بأن عصابات عربية مسلحة من رجال مفتي القدس أصبحت تسيطر عمليًا على جميع سلاسل الجبال المحيطة بالقدس...".[5]

فهروب أصحاب المناصب والأغنياء ودخول مقاتلين من مصر وسورية والأردن وخيانة البريطانيين و... كلها عملت معًا لنشر الخوف والرعب في قلوب اليهود، وجعلت فكرة المذبحة القادمة تسيطر على عقولهم وقلوبهم.

" تخوّفوا همسًا من أن المليون عربي من سكان البلاد بمساعدة الجيوش النظامية لدول الجامعة العربية سيقومون بسرعة فائقة فورًا بعد انتهاء الحكم البريطاني ويذبحون الستمئة ألف يهودي الموجودين في البلاد".[6]

وعلى النقيض من هؤلاء المتشائمين كان هناك فريق من المتفائلين يحلمون بالنصر الساحق وبالحكومة اليهودية القادمة وبالجنرالات الأبطال الذين سيسيطرون على البلاد ويديرونها بذكاء وحنكة، يقول عاموس:

"في البقالة وفي الشارع وفي الصيدلية تكلموا بصراحة عن الخلاص الوشيك التحقيق، تحدثوا عن "شرتوك"[7] وعن "كيلان" اللذين سيصبحان عما قريب وزيرين في الحكومة العبرية التي سيؤلفها بن غوريون[8] في حيفا أو في تل أبيب، كما تكلموا "همسًا" عن جنرالات يهود عظماء تمت دعوتهم للقدوم من الجيش الأحمر ومن سلاح الجو الأمريكي، وحتى من الأسطول البريطاني حيث سيستلمون قيادة الجيش العبري الذي سيقام بمجرد خروج الحاكم البريطاني".[9]

أما أوهام المتشائمين عن مذبحة وشيكة ستحلّ باليهود، فكان الفارس الشجاع رئيس أمريكا سيتولى حماية اليهود منها في الوقت المناسب، يقول عاموس:

"رئيس الولايات المتحدة ترومن:[10] وبسرعة البرق سيرسل جيشه. حاملتا طائرات أمريكيتان عملاقتان شوهدتا في ميناء صقلية وهي متجهة نحو الشرق، لن يسمح الرئيس ترومن بأي حال من الأحوال بأن تحدث للشعب اليهودي كارثة ثانية بعد أقل من ثلاث

سنوات من كارثة الستة الملايين: إذ إن يهود أمريكا الأغنياء وكثيري التأثير سيضغطون عليه، فهم لا يستطيعون أن يبقوا مكتوفي الأيدي".[11]

وبين المتفائلين والمتشائمين كان هناك فريق ثالث يحلم بأن تحدث معجزة ما تبقي الوضع على حاله سواء بحماية البريطانيين، أو الأمم المتحدة، أو اتفاقية سلام مع العرب ليس مهمًا ما هي الطريقة المهم ألا تحدث الحرب، يقول عاموس:

" لكننا في الخفاء في داخل البيوت وتحت اللحاف وفي الظلام بعد إطفاء الأنوار تهامسنا بأنه من يدري ربما يؤجل، أو يلغي البريطانيون إخلاءهم البلاد... وربما على الأقل سيبقون هنا في القدس قوة عسكرية نظامية تحمينا من مجزرة عربية... وربما بن غوريون وزملاؤه ... يتنازلون عن مغامرة الدولة العبرية لصالح تسوية متواضعة مع العالم العربي، ومع جماهير المسلمين، أو ربما سترسل هيئة الأمم المتحدة قبل فوات الأوان قوة عسكرية من دول محايدة لكي يحلوا محل البريطانيين".[12]

وفي بحر هذه الأمواج المتلاطمة من الإشاعات عاش المجتمع الإسرائيلي أصعب لحظات حياته من خوف وتوتر وترقب وهواجس وكوابيس تحيط بالجميع ينامون ويستيقظون عليها وترافقهم طوال الليل والنهار.

المطلب الثاني: ذكر بعض أحداث الحرب:

ذكر أحداث الحرب بطريقة مباشرة تشبه نشرة الأخبار يُضعف العمل الأدبي من الناحية الفنية، ويقرّبه من الوثائقية الجافة في كتب التاريخ. وهذا ما وقع به عاموس في بعض أجزاء من روايته كقوله: "بعد أن أعلنت حكومة بريطانيا عن نيتها بإنهاء حكمها على أرض إسرائيل، وإعادة الانتداب على أرض إسرائيل إلى هيئة الأمم المتحدة، عينت هيئة الأمم المتحدة لجنة خاصة (UNSCOP) كُلفت ببحث الوضع في فلسطين وأوضاع مئات آلاف اليهود النازحين".[13]

بهذه الطريقة المباشرة بسرد الأحداث قام عاموس بتقديم الحرب التي بدأت بعد أن صوّتت هيئة الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين دولة فلسطينية ودولة يهودية، يقول عاموس:

"في الساعة الثانية عشرة ودقيقة بعد منتصف الليل وبدون إعلان حرب غزت البلاد طوابير من سلاح المشاة وسلاح المدفعية وسلاح المدرعات التابعة للجيوش العربية: مصر من الجنوب، شرقي الأردن والعراق من الشرق، ولبنان وسورية من جهة الشمال. في صباح السبت قصفت طائرات مصرية مدينة تل أبيب..."[14]

ويستمر الأسلوب الإخباري المباشر في عرض أحداث الحرب يومًا بعد يوم مع ذكر المكان والزمان والساعة والحدث، وكأنه يكتب كتاب تاريخ يوثّق تلك الأحداث، كقوله: " في الأول من شباط انفجرت سيارة ملغمة بالقرب من بناية هيئة الصحيفة اليهودية باللغة الإنجليزية "فلسطين بوست" دُمِرت البناية بالكامل وقد وجه الاتهام إلى رجال الشرطة البريطانيين الذين تجندوا لمساعدة الهجوم العربي. في العاشر من شباط نجح المدافعون عن حي "يمين موشيه" في صدّ هجوم كبير للقوات العربية شبه المنظمة، في يوم الأحد الموافق الثاني والعشرين من شباط بعد الساعة السادسة صباحًا بعشر دقائق فجرت منظمة سمّت نفسها "القوات الفاشية البريطانية" ثلاث شاحنات محملة بالديناميت في شارع "بن يهودا" ".[15]

ولم يكن دور عاموس في الحرب مجرّد مشاهد وموثق للأحداث، فقد شارك بالحرب بنفسه ولكن بشكل بسيط لأنه كان طفلًا صغيرًا في ذلك الوقت، فقد اقتصرت مشاركته على ملء أكياس الرمل، وجمع الزجاجات الفارغة لصناعة العبوات الحارقة، والمراقبة.

"في منتصف كانون الأول من سنة 1947 تم إغلاق المدارس في أحيائنا، أما نحن أولاد الحي طلاب الصفين الثالث والرابع في مدرسة "تحكموني" أو في" بيت التربية"

فقد جمعونا...[و] فرض علينا جريبالدي أن ننتشر في جميع الساحات والمخازن وأن نجمع أكياسًا فارغة (بعد أن نملأها بالرمل) وقناني فارغة... كما تحدد لنا نوبات مراقبة".[16]

حتى والد عاموس الذي قضى حياته مع الكتب والأقلام ولم يعرف شيئًا عن السلاح والقتال فقد تطوع للمشاركة في الحرب مع حرس الشعب اليهودي " قام أبي " قصير النظر" وذهب إلى محطة " مشمار هعام " (حرس الشعب) التي أقيمت في الزقاق الذي بجانب شارع تسفانيا وطلب أن يتجند، واضطر إلى الاعتراف بأن تجربته العسكرية السابقة اقتصرت على صياغة بعض المناشير غير القانونية".[17]

ومن الطبيعي أن يترافق مع الحرب سوء في الأوضاع المعيشية، فبجانب القصف والموت والحرب انقطعت الماء والكهرباء والنفط، وقننت الأطعمة والأدوية لقلتها، وصارت أبسط لوازم الحياة توزع عبر بطاقات خاصة لكل عائلة، يقول عاموس:

" وزعت كل يومين أو ثلاثة دلو ماء لكل فرد، الخبز والخضراوات والسكر والحليب والبيض وغيرها من المواد الغذائية قننت بشدة ووزعت للناس بحسب بطاقات غذائية حتى نفدت هي الأخرى، وبدلًا منها تم توزيع مخصصات ضئيلة جدًا...أما الأدوية واللوازم الطبية فقد أوشكت على النفاد تمامًا لقد تمّ إجراء عمليات للمصابين أحيانًا بدون تخدير".[18]

ولتجنب القصف والرصاص الطائش تجمّعت أغلب العائلات في الأقبية والبيوت الأكثر أمانًا من حيث بعدها عن مناطق الاشتباكات، وكان بيت والد عاموس من هذه البيوت التي تجمعت العائلات فيها هربًا من الحرب، يقول عاموس:

"تجمّع عندنا بالتناوب رابضين على الفراش وعلى الحصر حوالي عشرين أو خمس وعشرين نسمة من الجيران والأقارب والمعارف ولاجئي الأحياء الحدودية، من بينهم

عجوزان متقدمتان جدًا في السن واللتان جلستا طوال النهار على مسطبة الممر محملقتان في الفضاء".[19]

ولكن لا يغني حذر من قدر فبالرغم من كل الاحتياطات لا بد من وقوع عدد من القتلى في الحرب فالحرب هي الحرب، ولا حرب بلا قتلى وجرحى ومآسٍ، ومن بين هؤلاء القتلى غريتا جات مربية الأطفال التي كانت تعتني بعاموس عندما كان صغيرًا، يصف عاموس موتها بقوله:

"غريتا جات قتلت في أيام الحصار على القدس اليهودية، في سنة 1948 قناص من الجيش الأردني، قناص مع حزام جلد مائل أسود وكوفية مربعات حمراء، أطلق عليها رصاصة مسددة من جهة مدرسة الشرطة الواقعة عند خط الهدنة. الرصاصة، هكذا قيل في الحي، دخلت الأذن اليسرى للعمة غريتا وخرجت من عينها. حتى هذا اليوم عندما أحاول أن أرسم كيف كان وجهها تفزعني عين واحدة ممزقة".[20]

ومن بين القتلى صديقة أمه تسيبورا يناي والتي أثّر قتلها كثيرًا في نفسية أمه المحطمة، يقول عاموس: " صديقة أمي الخجولة التي تسكن في شارع "تسفانيا" نزلت للحظة لتحضر من الساحة "ممسحة مسطبة " ودلوًا ولكنها قتلت فور إصابتها بقذيفة إصابة مباشرة"[21]

ومن بين القتلى الذين أثّر موتهم بشكل كبير بعاموس وأمه وكل من كان في البيت يومها الطفل "يوني" جاء في مذكرات أمه عن حادثة قتله: "في الثامن عشر من أيلول في الساعة العاشرة والربع من صباح يوم السبت قُتل "يوني" "يوني" ابني كل حياتي... قناص عربي أصابه، أصاب ملاكي لم يقل سوى "ماما" ولم يخط إلا عدة أقدام (لقد وقف ابني الرائع الطاهر بجانب البيت) ثم سقط ... أنا لم أسمع كلمته الأخيرة وصوته الذي ناداني ولم أجبه".[22]

فهذه الأم التي فُجعت بابنها الصغير كانت شاهدة على مآسي الحرب التي عمّت الجميع وذاق ويلاتها من جاء إلى هذه الأرض طالبًا الأمن والرخاء والسعادة فوجد نفسه في أتون حرب لا تكاد تنتهي حتى تشتعل من جديد.

فمآسي الحرب لم تكن مقتصرةً على الفلسطينيين بل عانى الصهاينة من نارها واكتووا بجمرها وإن كان ما ذاقوه لا يعدل شيئًا أمام ما ذاقه الفلسطينيون من قتل وتهجير وسلب وتشريد.

المطلب الثالث: عرض أحداث وفق الخطاب الإيديولوجي للصهاينة:

على الرغم من الطابع السردي الإخباري المباشر في سرد بعض أحداث الحرب إلا أنّ هذا لا يعني أبدًا أن سرد عاموس كان سردًا موضوعيًا محايدًا فقد برزت الأيديولوجية في انتقاء الأحداث وإظهار بعضها وإخفاء غيرها بحسب التوجه الأيديولوجي للكاتب فمجزرة دير ياسين التي وقعت في نيسان من عام 1948 حيث قامت منظمة "إيتسل"[23] و"ليحي"[24] و"الهاغاناه"[25] بنقض اتفاق وقعه أهالي القرية معهم وقاموا بقصف القرية ثم دخلوها بوحشية وذبحوا الرجال والأطفال واغتصبوا النساء ثم ذبحن وبُقرت بطون الحوامل ومُثّل بالجثث بهمجية منقطعة النظير، ثم قادوا من بقي حيًا وسحبوا في الأحياء اليهودية بموكب نصر يذكر بمواكب النصر اليونانية، ثم قتلوا.[26]

هذه المجزرة المروّعة لم تأخذ من رواية عاموس سوى سطرٍ واحدٍ فقط يقول عاموس: "دير ياسين التي أكثر من مئة من سكانها ذُبحوا بأيدي الايستل والليحي في نيسان 1948"[27]

وعندما قام الفلسطينيون ردًا على المجزرة بضرب قافة يهودية أخذ هذا الحدث من الرواية قرابة الخمس صفحات ذكر فيها التاريخ بالساعة والدقيقة وأسماء بعض من

قتل وتفاصيل الحادثة وحزنه بسببها بإطناب لا يقارن مع الإيجاز في ذكر الحدث الذي كان سببًا في وقوعها.[28]

والأعجب من ذلك مقارنته بين ما أسماه التطهير العرقي الذي قام به العرب مع الأراضي التي هرب منها العرب في الحرب، فيعدد المستوطنات التي حررها العرب فيقول: "مستوطنات يهودية قليلة كانت موزعة هنا وهناك بالقرب من المدينة: عطروت، فافي يعكوف من الشمال، كاليا وبيت هعرافا على شاطئ البحر الميت من الجهة الشرقية، رمات راحيل وجوش عتسيون من الجنوب، وموتسا وكريات عنفيم ومعاليه هحمشياه من الغرب في حرب 1948 سقطت هذه المستوطنات مع الحي اليهودي الذي داخل أسوار البلدة القديمة في القدس في أيدي الجيش الأردني".[29]

هذه المستوطنات التي وصفها بالقليلة جعلها بالمقابل من مدن عربية كبيرة وعريقة احتلت مع عشرات القرى الفلسطينية الأخرى، يقول عاموس: " خلال شهر نيسان وحتى منتصف أيار سقطت في أيدي قوات الهاجاناه مدن عربية ومدن مختلطة كبيرة: حيفا يافا طبريا وصفد بالإضافة إلى عشرات القرى العربية في الشمال والجنوب. مئات آلاف العرب فقدوا بيوتهم في تلك الأسابيع وتحولوا إلى لاجئين... لم يكن في تلك الأيام من يأسف على مصير اللاجئين الفلسطينيين المرّ".[30]

والمقابلة بين مدن كبيرة وعريقة وعشرات القرى مع مستوطنات قليلة ومتفرقة بحسب وصفه مقابلة عادلة، ولا يوجد مسوغ لغضب العرب منها فهذه المستوطنات مقابل تلك المدن والقرى، يقول عاموس: "نحن فقدنا ربع الحي اليهودي في البلدة القديمة من مدينة القدس وفقدنا "جوش عتصيون" وخسرنا ""كفار دروم" و"عطروت" و"كاليا" و"نفيه يعكوف" تمامًا كما خسروا هم يافا والرملة ولفتا والمالحة وعين كارم. بدلًا من مئات آلاف العرب الذين هجروا جاء آلاف اللاجئين اليهود والملاحقين من الدول العربية".[31]

فمقابلة عدد من المستوطنات القليلة المتفرقة –والتي هي أصلًا أرض فلسطينية محتلة– مع مدن كبيرة وعشرات القرى مقابلة عادلة! ومقابلة مئات الآلاف من المهاجّرين الفلسطينيين مع الآلاف من اليهود مقابلة عادلة! – مع أنّ اليهود لم يطردوا ويلاحقوا في البلاد العربية– وما فعله العرب في تلك المستوطنات تطهير عرقي! يقول عاموس:

" جميع المستوطنات التي سقطت في الحرب في أيد عربية مُسحت تمامًا عن وجه الأرض – كلها دون استثناء– والسكان اليهود كلهم حتى آخر واحد منهم إما أنهم قتلوا أو هربوا أو أسروا، ولكن الجيوش العربية لم تسمح لأي منهم بالعودة بعد الحرب. عمل العرب في الأراضي التي احتلوها "تطهيرًا عرقيًا" أساسيًا".[32]

ناسيًا أو متناسيًا أن فلسطين بكاملها كانت للعرب قبل أن يأتوا من أصقاع الأرض ليحاصصوهم عليها، ونسي أو تناسى ما فعلوه في صفد وعكا ويافا وحيفا وغيرها، وقد دُهشت جولدا مائير[33] عندما دخلت حيفا بعد احتلالها وتذكرت منها أبشع القصص التي سمعتها عن وحشية الروس ضد اليهود.[34]

ولكنه التعصب الفكري الصهيوني الذي جعل عاموس لا يرى ولا يعي ما يكتب، فالعنصرية أعمت بصره وبصيرته وجعلته يظهر بصورة العنصري المتحيز.

ومن آثار تعصبه العنصري تزييفه لحقيقة البريطانيين ودورهم في الحرب، إذ صوّر عاموس البريطانيين على أنهم أعوان العرب في حربهم ضد اليهود، يقول عاموس: "كان البريطانيون يواصلون تحمّل مسؤولياتهم السلطوية ويستغلونها في الأساس من أجل مساعدة العرب في حربهم وتقييد أيدي اليهود".[35]

فالبريطانيون يستخدمون سلطاتهم في مساعدة العرب ويعتقلون عناصر الهاجاناه ويصادرون أسلحتهم ويفتحون المجال للعرب لقتلهم، يقول عاموس: "في القدس وفي جميع أنحاء البلاد اضطروا إلى الاكتفاء تقريبًا بالدفاع فقط لأن البريطانيين أحبطوا كل

محاولات "الهاجناه" للقيام بمبادرة والخروج في هجوم مضاد، حيث اعتقلوا رجالات "الهاجناه" وصادروا أسلحتهم".[36]

بل ونسب إلى القوات البريطانية إعطاء القوات العربية السيطرة على الأماكن الاستراتيجية في الحرب ليتمكنوا من التضييق على اليهود، يقول عاموس: " قوات عراقية نظامية والتي سمحت لها القوات البريطانية بوضع يدها على مضخات المياه في رأس العين قامت بتفجير منشآت الضخ فأصبحت القدس اليهودية بدون مياه".[37]

ونسب أيضًا للبريطانيين التواطؤ مع القوات العربية في حادثة الهجوم على القافلة اليهودية الذي قام به العرب ردًا على مجزرة دير ياسين حيث قال: "وقع الهجوم على بعد أقل من مئتي متر من موقع الحرس البريطاني الذي كانت مهمته تأمين وحماية الطريق إلى المستشفى، وقف الجنود البريطانيون ساعات وهم يتفرجون على الهجوم دون أن يحركوا ساكنًا".[38]

مع أنّ اليهود ما كانوا ليصلوا إلى فلسطين لولا مساعدة بريطانيا، وما كانوا ليستطيعوا إقامة مستوطناتهم، وما كانوا ليحتلوا حيفا لولا مساعدة بريطانيا بل إن بن غوريون نفسه اعترف بمساعدات كثيرة قدمتها بريطانيا لليهود في أثناء الحرب من ذلك بيعهم الطائرات، يقول بن غوريون: " اشترى فريدي في إنكلترا 11طائرة "[39] بل ومساعدة قوات اليهود عندما تحاصر، يقول بن غوريون: " أُنقِذ المقاتلون في اليوم التالي بمساعدة من الجيش البريطاني".[40]

وعلى العكس مما ذكر عاموس من كون الجيش البريطاني يجرّد اليهود من السلاح، فقد ذكر بن غوريون أن الجيش البريطاني كان يجرّد العرب من السلاح[41]، بل ذكر أيضًا أن القوات البريطانية كانت تشارك في الحرب تحت قيادة قوات "الهاجاناه"، قال بن غوريون: "وقد صدّ المدافعون المهاجمين وأُحبِط الهجوم بمشاركة قوة مصفحات

بريطانية استدعيت من المطلة ومارست عملها وهي تأخذ على عاتقها الانطواء تحت قيادة قائد "هاغاناه" في المستوطنة".[42]

وبذلك يتضح أنّ عاموس كان يقوم بتزييف الوقائع خدمة لأجندات أيديولوجية حزبية يهدف من خلالها إلى إيهام الجيل الجديد الذي لم ير الحرب أنها كانت حربًا أسطورية استطاع اليهود فيها الانتصار على الدول العربية مجتمعة وعلى الإمبراطورية البريطانية بدلًا من إدراك ذلك الجيل أن دولتهم ما كانت لتقوم لولا مساعدة الدولة البريطانية.

المطلب الرابع: بيان وجهة نظر الطرف الآخر:

وفي محاولة من عاموس للظهور بمظهر الكاتب الإنساني المحايد والبعيد عن العنصرية والتحيّز عرض وجهة نظر العرب في اليهود، حيث قال: "لكن العرب ينظرون إلينا فلا يرون أمامهم مجموعة من الناجين شبه الهستيريين، بل ممثلين متعجرفين جدد لأوروبا الاستعمارية المتطورة والاستغلالية التي عادت بطرق الخديعة والاحتيال إلى المشرق – وهذه المرة بلباس تنكر صهيوني– لكي تعاود الاحتلال والاستغلال والاضطهاد".[43]

في الواقع إن العرب لا ينظرون إلى اليهود على أنهم المستعمر الأوربي الذي جاء بثوب جديد، فالعرب كانوا يدركون أن خطر اليهود أكبر من خطر الاستعمار الأوربي، لأن اليهود يريدون تحويل بلدهم إلى وطن خاص بهم، وقد أدرك عاموس ذلك وحكاه عنهم بقوله: "إذا فُسِح لهم المجال بإقامة دولة هنا ولو كانت دولة صغيرة فإنهم سيستعملونها كرأس جسر حيث سيتدفق إليها الملايين منهم مثل السرب سينقضون على الجبال والمروج يسحقون كل أثر لعروبة مناظرها القديمة ويبتلعون كل شيء قبل أن يصحو العرب من سباتهم".[44]

ولأنهم يعرفون خطورة القبول بوجود اليهود على أي شبر من بلدهم رفضوا قرار التقسيم، ففلسطين بلدهم من البحر إلى البحر، وهؤلاء اليهود جاءت بهم بريطانيا من وراء البحار ووزعتهم في بلادهم، وإن قبلوا بوجودهم على شبر واحد من أرضهم فسيتوسعون وينتشرون في ربوع الوطن كما ينتشر السرطان في جسد المريض حتى يقضي عليه، يقول عاموس:

"من وجهة النظر العربية كانت كل البلاد أرضًا عربية منذ مئات السنين حتى جاء البريطانيون وشجعوا جماهير غرباء ليسوا من هنا بغزو أرجاء البلاد وتسوية التلال واقتلاع كروم الزيتون القديمة وشراء الأرض بالخديعة والاحتيال قطعة تلو القطعة من أيدي أصحابها الفاسدين والمنحلين أخلاقيًا... إذ لم يتصدوا لهم فإن هؤلاء المستعمرين اليهود النشيطين والماكرين سوف يبتلعون البلاد كلها ويزيلون عنها كل ما يشير ويدل على عروبتها"[45]

وليضفي مزيدًا من الإنسانية على روايته يتباكى عاموس على طفلة عربية قتلها حاجز يهودي بدم بارد موضحًا أن الإعلام اليهودي يظهر الضحايا اليهود فقط، يقول عاموس: "فنحن لم نشفق حقًا على البنت العربية الصغيرة التي ماتت عند الحاجز في الطريق إلى المستشفى، لأنه وقف هناك على الحاجز جندي بلا قلب... كل ما أراده هو أن يغلق بسرعة وأن يعود إلى بيته، وهكذا ماتت البنت التي يجب أن تمزق عيونها نفوسنا جميعًا حتى لا تنام طوال الليل، ولكنني لم أر حتى عينيها لأنهم في جرائدنا لا يظهرون إلا صور ضحايانا ولا يظهرون ولو لمرة واحدة ضحاياهم".[46]

ولكن هل هي الطفلة الفلسطينية الوحيدة التي قتلت على أيدي اليهود! لماذا لم يتباك على عشرات الأطفال الذين ذبحهم اليهود ذبحًا بدم بارد ومثّلوا بجثثهم في دير ياسين مع أنه ذكر الحادثة في روايته ومرّ عليها مرورًا عابرًا [47]ولكنها قطعة تزيينيّة تفيد في إضفاء النزعة الإنسانية على روايته ليس إلا.

ولكن هذا الكاتب "الإنساني" الذي يتباكى على الطفلة العربية، ويعبر عن وجهة النظر العربية من اليهود. كيف هي وجهة نظر اليهود إلى العرب عنده؟ يوضح عاموس ذلك بقوله: "من جهتنا ننظر إليهم فلا نرى ضحايا مثلنا، إخوة لنا في الكارثة، بل قوزاقيين ينفذون المجازر ولا ساميين متعطشين للدماء، نازيين متنكرين: وكأن مُطارِدينا الأوربيين عادوا إلى الظهور هنا في أرض إسرائيل التفوا بالكوفيات وأطلقوا شواربهم ولكنهم هم هم قَتَلَتُنا القدامى، الذين جلّ غايتهم ذبح اليهود لمجرد المتعة والتسلية "[48]

هكذا بطريقة عجيبة يتم تحميل العرب ذنب جرائم لم يسمعوا بها وقعت لليهود في أوروبا، وجاء اليهود ليفرغوا حقدهم وثاراتهم على الشعب الآمن في أرضه ووطنه.

فعاموس لم يكن صادقًا بادعائه الموضوعية والرغبة في عرض القضية من منظور الخصمين بل كان يحاول ذر الرماد في العيون وإخفاء تحيزه وتعصب الأعمى لجرائم الصهاينة بحق الفلسطينيين.

خاتمة:

على الرغم من التقريرية والمباشرة في نقل أحداث حرب عام 1948م لدى عاموس إلا أن نقله لم يخل من انحياز واضح للصهيونية بدا في انتقاء للأحداث، وفي التركيز على بعضها وإهمال بعضها الآخر، مع تزييف لبعض الأحداث لتوافق توجهه السياسي، ولم يستطع الموقف الذي تباكى فيه على الطفلة الفلسطينية التي قتلت على أيدي الصهاينة أن يزيل عن الرواية الانحياز والتعصب السياسي.

---

[1] ينظر: عبد الحميد: **اختراع شعب وتفكيك آخر عوامل القوة والمقاومة–والضعف والخنوع**، مركز مسارات، رام الله، ط1، 2015م، ص 208.

[2] عاموس عوز كاتب وصحفي وسياسي وأستاذ جامعي ولد في القدس عام 1939م، غير اسمه من عاموس كلاوزنر إلى عاموس عوز بعد انتحار أمه وتركه لبيت أبيه للعيش في الكيبوتس،

سياسيًا ينتمي لليسار الإسرائيلي، من أعماله: بلاد ابن آوى وعزيزي ميخائيل وحتى الموت، توفي عام 2018م عن عمر يناهز 79. ينظر: أسماء يس: "**عاموس عوز أو إلى أي مدى يكون الإسرائيلي إسرائيليًا**"، https://www.medinaportal.com/amosoz/

وأموس عوز: **حنا وميخائيل**، ترجمة رفعت فوده، منشورات دار الجمل، بيروت، ط1، 2013م، ص14. وإبراهيم نصر الدين عبد الجواد دبيكي: **التعالق بين الرواية والسيرة الذاتية "قصة عن الحب والظلام" لعاموس عوز نموذجًا** "مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ع 26، يوليو 2009م، ص:305-360. وأحمد أشقر: "**عن ترجمة عاموس عوز للعربية**"، نشرة كنعان الإلكترونية، السنة التاسعة، العدد1964م.
https://kanaanonline.org/2009/07/22/%d8%b9%d9%86%d8%aa%d8%b1%d8%ac%d9%85%d8%a9%d8%b9%d9%8e%d8%a7%d9%85%d9%8f%d9%88%d8%b3%d8%b9%d9%88%d8%b2%d9%84%d9%84%d8%b9%d8%b1%d8%a8%d9%8a%d8%a9

(3) عوز: **قصة عن الحب والظلام**، ترجمة: جميل غنايم، منشورات الجمل، بيروت، 2010م، ص 486.

(4) المصدر نفسه: ص 486.

(5) المصدر نفسه: ص 486–487.

(6) المصدر نفسه: ص 501.

(7) موشيه شرتوك رئيس الحكومة الإسرائيلية من عام 1954م وحتى عام 1955م، ولد عام 1894م في أوكرانيا، هاجر إلى فلسطين عام 1906م، غيّر اسمه إلى موشيه شاريت، كان يتقن اللغة العربية بطلاقة، تولى عدة مناصب منها: وزير خارجية الحكومة الإسرائيلية، زعيم حزب العمال الإسرائيلي، رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة الصهيونية العالمية. ينظر: أسامة جمعة الأشقر وحسن عادل الرفاعي: **إسرائيل الرؤساء رؤساء الكنيست رؤساء الحكومات منذ الإنشاء وحتى 2006م**، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، 2007م، ص105–108.

(8) دافيد بن – غوريون (1886–1973) من أبرز الزعماء الصهيونيين، ولد في بولندا، هاجر إلى فلسطين عام 1906م، كان أول رئيس للحكومة الصهيونية في فلسطين ووزير دفاعها وهو من قرأ إعلان استقلالها عام 1948م، ينظر: دافيد بن غوريون: **يوميات الحرب 1947–**

1949، ترجمة: سمير جبور، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 1993م، ص 11-13.

(9) المصدر نفسه: ص 501.

(10) هاري س. ترومان (1884-1972م) الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية استمرت ولايته من عام 1945م وحتى 1953م، ولد وتوفي في لامار ميسوري، وهو من أصدر قرار ضرب اليابان بالقنابل الذرية. ينظر: أودو زاوتر: **رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ 1789 حتى اليوم**، دار الحكمة، لندن، ط1، 2006، ص227-234.

(11) عوز: **قصة عن الحب والظلام**، ص 487.

(12) المصدر نفسه: ص 501 -502.

(13) المصدر نفسه: ص 490.

(14) المصدر نفسه: ص 538.

(15) المصدر نفسه: ص 528.

(16) المصدر نفسه: ص 529.

(17) المصدر نفسه: ص 528.

(18) المصدر نفسه: ص 525.

(19) المصدر نفسه: ص 525.

(20) المصدر نفسه: ص 237.

(21) المصدر نفسه: ص 542.

(22) المصدر نفسه: ص 542.

(23) منظمة عسكرية أسسها المصلحون وحركة شباب بيتار وهي مكونة من عدد من الجنود اليهود المسرحين من الجيوش الأوروبية تشكلت عام 1927م بعد أن انشقت عن منظمة الهاغاناه. ينظر: أفرايم ومناحم تلمي: **معجم المصطلحات الصهيونية**، ترجمة أحمد بركات العجدمي، دار الجليل للنشر، عمان، ط:1، 1988م، ص 29.

(24) منظمة المحاربين من أجل حرية إسرائيل تشكلت عام 1940م على يدي إبراهام شتيرن وكان أعضاؤها قد انشقوا عن منظمة إيتسل، قُتِل ابراهام شتيرن عام 1942م. ينظر: تلمي: **معجم المصطلحات الصهيونية**، ص:245.

[25] هاجناه وتعني الدفاع وهي منظمة سرية عسكرية يهودية تأسست في فلسطين عام 1920م وارتبطت منذ نشأتها بنقابة العمال وبالاستيطان الصهيوني وكانت نواة الجيش الصهيوني. ينظر: تلمي: **معجم المصطلحات الصهيونية**، ص112-118.

[26] ينظر: يهودا شناف: **في مصيدة الخط الأخضر**، ترجمة: سعيد عياش، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2011م، ص139. ومحمد عزة دروزة: **مأساة فلسطين**، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، الإقليم السوري، 1959م، ص 93. ونور الدين مصالحه: **طرد الفلسطينيين مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882-1948**م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 1992م، ص178.

[27] عوز: **قصة عن الحب والظلام**، ص 499.

[28] ينظر: المصدر نفسه: ص 531-535.

[29] المصدر نفسه: ص 499.

[30] المصدر نفسه: ص 535.

[31] المصدر نفسه: ص 555.

[32] المصدر نفسه: ص 499-500.

[33] جولدا مائير (1898- 1978) ترأست اللجنة السياسية للوكالة اليهودية، واستلمت عددًا من المناصب في الحكومة الإسرائيلية كان أرفعها رئاسة وزراء الحكومة الإسرائيلية من عام 1969 وحتى عام 1974م، توفيت بمرض سرطان الدم. ينظر: الأشقر والرفاعي: **إسرائيل الرؤساء رؤساء الكنيست رؤساء الحكومات منذ الإنشاء وحتى 2006م**، ص 111-113.

[34] ينظر: إيلان بابه: **التطهير العرقي في فلسطين**، ترجمة: أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 2007م، ص 107.

[35] عوز: **قصة عن الحب والظلام**، ص 524.

[36] المصدر نفسه: ص 524.

[37] المصدر نفسه: ص 525.

[38] المصدر نفسه: ص 533.

[39] بن غوريون: **يوميات الحرب 1947-1949**، ص125.

[40] المصدر نفسه: ص 134.

[41] ينظر: المصدر نفسه: ص 112.

(42) المصدر نفسه: ص 26.

(43) عوز: **قصة عن الحب والظلام**، ص 500.

(44) المصدر نفسه: ص 491.

(45) المصدر نفسه: ص 491.

(46) المصدر نفسه: ص 275.

(47) ينظر: المصدر نفسه: ص 532.

(48) المصدر نفسه: ص 500-501.

المصادر والمراجع:

1-إبراهيم نصر الدين عبد الجواد دبيكي: **التعالق بين الرواية والسيرة الذاتية "قصة عن الحب والظلام" لعاموس عوز نموذجًا** "مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ع 26، يوليو 2009م، ص:305-360.

2-أسامة جمعة الأشقر وحسن عادل الرفاعي: **إسرائيل الرؤساء رؤساء الكنيست رؤساء الحكومات منذ الإنشاء وحتى 2006م**، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، 2007م.

3-أفرايم ومناحم تلمي: **معجم المصطلحات الصهيونية**، ترجمة أحمد بركات العجدمي، دار الجليل للنشر، عمان، ط:1، 1988م.

4-أموس عوز: **حنا وميخائيل**، ترجمة رفعت فوده، منشورات دار الجمل، بيروت، ط1، 2013م.

5-أودو زاوتر: **رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ 1789 حتى اليوم**، دار الحكمة، لندن، ط1، 2006م.

6-إيلان بابه: **التطهير العرقي في فلسطين**، ترجمة: أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 2007م.

7-دافيد بن غوريون: **يوميات الحرب 1947-1949**، ترجمة: سمير جبور، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 1993م.

8-عاموس عوز: **قصة عن الحب والظلام**، ترجمة: جميل غنايم، منشورات الجمل، بيروت، 2010م.

9-محمد عزة دروزة: **مأساة فلسطين**، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، الإقليم السوري، 1959م.

10-مهند عبد الحميد: **اختراع شعب وتفكيك آخر عوامل القوة والمقاومة-والضعف والخنوع**، مركز مسارات، رام الله، ط1، 2015م.

11-نور الدين مصالحة: **طرد الفلسطينيين مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882-1948**م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، 1992م.

12-يهودا شناف: **في مصيدة الخط الأخضر**، ترجمة: سعيد عياش، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2011م.

المواقع الالكترونية:

1- أحمد أشقر: "**عن ترجمة عاموس عوز للعربية**"، نشرة كنعان الإلكترونية، السنة التاسعة، العدد1964م.
https://kanaanonline.org/2009/07/22/%d8%b9%d9%86%d8%aa%d8%b1%d8%ac%d9%85%d8%a9%d8%b9%d9%8e%d8%a7%d9%85%d9%8f%d9%88%d8%b3%d8%b9%d9%88%d8%b2%d9%84%d9%84%d8%b9%d8%b1%d8%a8%d9%8a%d8%a9

2- أسماء يس: "**عاموس عوز أو إلى أي مدى يكون الإسرائيلي إسرائيليًا**"،
https://www.medinaportal.com/amosoz/